قصص

لانطون تشيخوف

تواريخ حية
الدبلوماسي
المتمارضون

ترجمة
د. ابو بكر يوسف

تواريخ حية

غرفة الجلوس فى دار مستشار الدولة شاراميكين مغلفة بظلمة خفيفة لطيفة . والمصباح البرونزى الكبير ذو الاباجـــورة الخضراء يلون الجدران والأثاث والوجـــوه بلون اخضر على طريقـــة «ليل اوكرانيا» . . . ومن حين لحين تتوهج جمرة حطب فى الموقد الموشك على الانطفاء ، قيغمر الوجوه للحظة لون لهب الحرائق : ولكن ذلك لا يفسد هارمونى الألوان العـــام . فـ«التون» العام ، كما يقـــول المصورون ، محافظ عليه هنا .

وعلى مقعد امام الموقد يجلس شاراميكين نفسه ، فى وضع رجل تغدى لتوه . وهو سيد كهل ، بسوالف موظفين بيضاء ، وعينين زرقاوين مستكينتين . وتنساب الرقة على وجهه ، وشفتاه مطبقتان على ابتسامة حزينة . وعند قدميه يجلس على اريكة ، ماذا ساقيه فى كسل وهو يتمطى ، نائب المحافظ لوبنيف ، وهو رجل نشيط ، فى حوالى الاربعين من عمره . وبجوار المعزف يلهو أولاد شاراميكين : نينا وكولا وناديا وفانيا . ومن الباب الموارب المفضى الى غرفـــة مكتب مدام شاراميكينا يتسلل ضوء خجول . فهنـــاك خلف الباب تجلس الى مكتبها زوجة شاراميكين آنا بافلوفنا ، رئيسة لجنـــة النساء المحلية ، وهى سيدة بادية الحيوية ، مثيرة ، تخطت الثلاثين بقليل . وتجرى عيناها السوداوان النشطتان عبر العوينـــات على صفحات رواية فرنسية . وتحت الرواية يرقد تقرير مجعد الصفحات عن نشاط اللجنة فى العام الماضى .

ويقـــول شاراميكين وهو يزر عينيـه المستكينتين ناظرا الى جمرات الحطب :

– كانت مدينتنا من قبل محظوظة اكثر من هذه الناحية . لم يمر شتاء واحد الا وزارنا نجم ما . كان يأتينـــا مشاهير الممثلين والمطربين ، امـــا الآن . . . فالشيطان وحده يعلم ما هذا . . . لا احد يأتى سوى الحـــواة والمتسولين من عازفى الارغن اليدوى فى الشوارع . ليس هناك اية متعة جمالية . . نعيش كأنما فى غابة . نعم . . أتذكر يا صاحب السعادة ذلك الممثل التراجيدى الايطالى . . ما اسمه ؟ ذلك الأسمر . . الطويل . . ليهبنى الله الذاكرة . . آه ، نعم! لويجى ارنستو دى روجييرو . . يا له من موهبـــة رائعة . . يا للقوة ! كان يكفى ان يتفوه بكلمـــة واحدة حتى تهتز قلوب النظارة . لقد شاركت زوجتى أنيوتا بحماس كبير فى تشجيع موهبته . حجزت له المسرح وباعت له التذاكر لعشر حفلات . . . ومكافاة لها على ذلك علمها الالقاء والحركات . ما أنبل روحه ! لقد حضر الى هنا منذ . . . أرجو الا اخطئ . . منذ حوالى اثنتى عشرة سنـــة . . كلا . . اخطأت . . بـــل أقـــل . . منذ حوالى عشر سنوات . . . أنيوتا ، كم عمر ابنتنا نينا ؟

فتصيح آنا بتروفنا من غرفة مكتبها :

– فى العاشرة ! وماذا ؟

– لا شىء يا ماما ، هكذا . . . وكان يزورنـــا ايضا مطربون جيدون . . هـــل تذكر بريليبتشين ، ذلك الصوت الـ tenore di grazia • ؟ ما أنبل روحه ! يا لهيئته ! أشقر . ووجهه معبر ، وحركاته باريسية . . . وما أروع صوته يا صاحب السعادة ! كان يعيبه شىء واحد . . كان يغنى بعض النوتات من بطنـــه و«ري» بطبقة عالية ، وفيما عدا ذلك فكان مجيدا . قال انه درس على يدى تامبرلك . . دبرت له أنا وأنيوتا قاعة فى النادى الاجتماعى . وشكرا منه لنا على ذلك كان احيانا يغنى لنا اياما وليالى بأكملها . . وعلمت أنيوتا الغناء . . لقد جاء الينا ، كما اذكر جيدا ، فى الصوم الكبير . .

• التينور العاطفى (بالايطالية فى الأصل) . **المعرب** .

منذ . . منذ حوالى اثنتى عشرة سنـــة . كلا ، بل اكثر . . يـــا للذاكرة ، استغفر الله ! أنيوتا ، كم عمر ابنتنا ناديا ؟

– اثنتا عشرة !

– اثنتا عشرة . . . فاذا اضفنا اليهـــا عشرة أشهر . . نعم بالضبط . . ثلاث عشرة ! . . كانت مدينتنا قبلا اكثر حيوية . . خذ مثلا الحفلات الخيرية . ما أروع الحفلات التى كانت تقـــام فى السابق . . يا للسحر ! غناء ، وعزف ، والقاء . . . وبعد الحرب * اذكر ، عندما كان الأسرى الأتراك يقيمون هنا ، أقامت انيوتا حفلا لصالح الجرحى . جمعنا ألف ومائـــة روبل . . . اذكر ان الضباط الأتراك كانوا مفتونين بصوت أنيوتا ، وكانوا طوال الوقت يقبلون يدها . هىء . . رغم أنهم آسيويون الا أنهم أمـــة تقـــدر الجميل . وكانت الحفلة موفقة الى درجة اننى ، أتصدق ، كتبت عنها فى يومياتى . كان ذلك كما أذكر الآن فى . . . سنة ستـــة وسبعين . . . كلا ! فى سبعة وسبعين . . . كلا ! مهلا ، متى اقام الأتراك عندنا ؟ أنيوتا ، كم عمر ابننا كوليا ؟

– عمرى سبع سنوات يا بابا ! – يقول كوليا ، ذلك الصبى الأسمر الوجه وذو الشعر الأسود الفاحم .

ويقول لوبنيف موافقا وهو يتنهد :

– نعم ، هرمنا ولم تعد لدينا تلك الطاقة ! هذا هو السبب . . الشيخوخة يا أخى ! ليس هناك مبادرون جدد ، اما القدامى فقد هرموا . . لم تعد لدينا تلك الشعلة . أنا ، عندما كنت أصغر ، لم اكن أحب أن يشعر المجتمع بالملل . . كنت المساعـــد الأول لزوجتكم آنّا بافلوفنا . فاذا كانت هناك حاجة لاقامة حفل خيرى ، او يانصيب ، او لمساعدة نجم مشهور وصل ، كنت اترك كل شىء واشرع فى السعى . واذكر اننى ذات شتاء انهمكت فى الجرى والسعى الى درجة اننى مرضت . . لن أنسى ابدا ذلك الشتاء ! أتذكر اية مسرحية ألفتها انا وزوجتكم آنّا بافلوفنا لصالح منكوبى الحريق ؟

– فى اية سنة كان ذلك ؟

---

* المقصود هنا الحرب الروسية التركية عامى ١٨٧٧–١٨٧٨ والتى انتهت بعقد صلح سان – ستيفانو . **المعرب** .

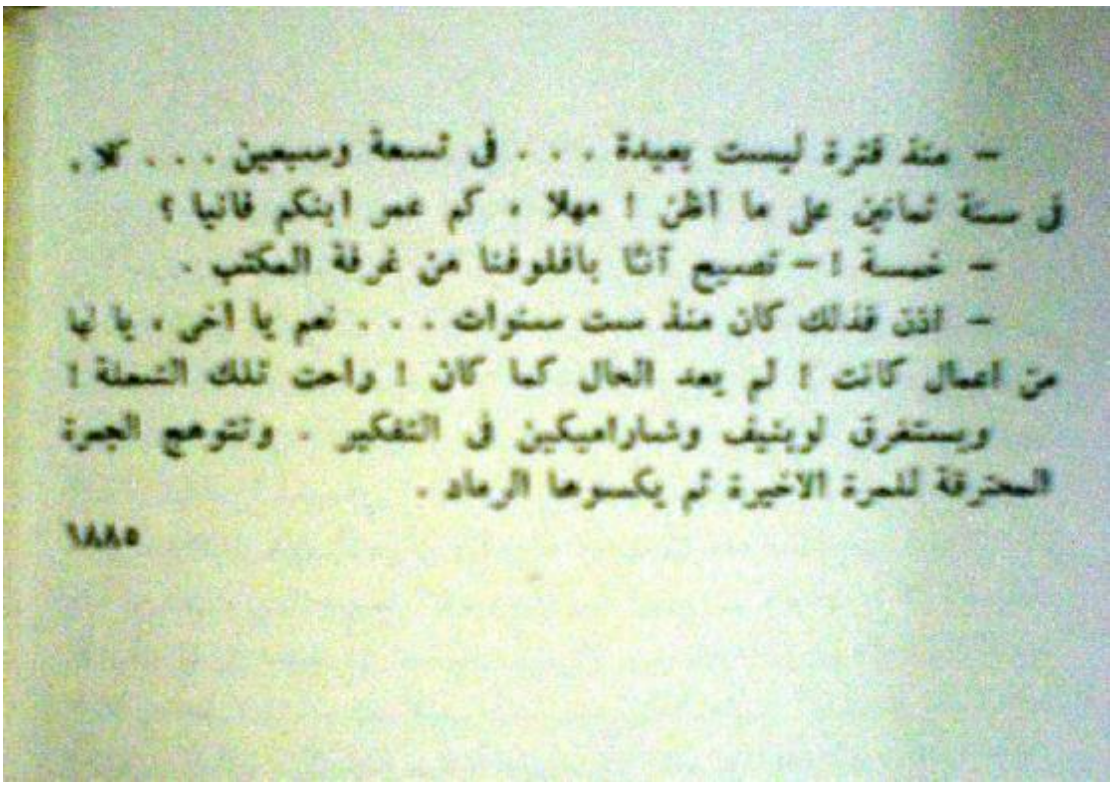

– منذ فترة ليست بعيدة . . . في تسعة وسبعين . . . كلا ، في ستة ثمانين على ما أظن ! مهلا ، كم عمر ابنكم فانيا ؟

– خمسة ! – تصيح آنا بافلوفنا من غرفة المكتب .

– اذن فذلك كان منذ ست سنوات . . . نعم يا أخي ، يا لها من أعمال كانت ! لم يعد الحال كما كان ! راحت تلك الشعلة !

ويستغرق لوبنيف وشاراميكين في التفكير . وتتوهج الجمرة المحترقة للمرة الاخيرة ثم يكسوها الرماد .

١٨٨٥

القصة الثانية

الدبلوماسي

الدبلوماسى

(مشهد)

لفظت زوجة المستشار الاسمى * آنا لفوفنا كوفالدينا انفاسها .

وراح الاقارب والمعارف يتشاورون :

– وما العمل الآن ؟ ينبغى ان نخطر زوجها . فرغم انه فارقها الا انه كان يحب المرحومة . بل لقد جاءها منذ فترة وركع امامها على ركبتيه ضارعا : «متى تغفرين لى يا آنّا هوى لحظة ؟» وغير ذلك من هذا القبيل . ينبغى ان نخطره . . .

وقالت عمتها الباكية مخاطبة العقيد بسكاريوف الذى كان يشترك فى المشاورة العائلية :

– يا أريستارخ ايفانيتش ، ! انت صديق ميخائيل بتروفيتش . اصنع معروفا واذهب اليه فى الادارة وابلغه بهذه المصيبة ! لكن أرجوك يا عزيزى لا تصدمه دفعة واحدة ، والا فقد يحدث له شىء . انه رجل مريض . مهد للخبر فى البداية ، وبعد ذلك . . .

ارتدى العقيد بسكاريوف العمرة وتوجه الى ادارة السكك الحديدية حيث كان يعمل الأرمل الحديث العهد . ووجده يعد الميزانية .

– تحياتى لميخائيل بتروفتش ، – قال وهو يجلس الى طاولة كوفالدين ويمسح عرقه . – مرحبا يا عزيزى . يا للغبار فى

---

* من الرتب المدنية الدنيا فى روسيا القيصرية وتعادل رتبة النقيب العسكرية . **المعرب** .

الشوارع ، اعوذ بالله ! اكتب ، اكتب . . . لن اعطلـــك . .
ساجلس قليلا ثم انصرف . . كنت مارا من هنا فقلت لنفسى : ان
ميشا يعمل هنا ! فلامر عليه ! وبالمناسبة . . انا بحاجة اليك فى
مسالة . .

– اجلس هنا يا اريستارخ ايفانيتش . . انتظرنى قليلا . .
سافرغ بعد ربع ساعة ، وعندئذ نتحدث . . .

– اكتب ، اكتب . . . انا جئت هكذا . . مرورا عابرا . .
سأقول لك كلمتين . . ووداعا !

وضع كوفالدين الريشة جانبا واستعد للانصات . وحك العقيد
رقبته خلف الياقة واستطرد :

– الجو خانق لديكم هنا ، اما فى الشارع فجنة حقيقية . . .
الشمس ، والنسيم اللطيف ، أتدرى . والطيور . . انه الربيع !
كنت سائرا الى سبيلى فى البوليفار . . أتدرى ، وكان مزاجى رائعا !
فانا رجل حر ، أرمل . . أينما أريد أذهب . . اذا اردت ذهبت الى
الحانة ، واذا أردت ركبت ترام الخيل جيئة وذهابا . . ولا أحد يجرؤ
على ايقافى ، ولا أحد يعول ورائى فى المنزل . . كلا يا أخى ، ليس
هناك أحسن من حياة العازب . . حرية ! انطلاق ! تتنفس وتشعر
انك تتنفس ! سأعود الآن الى البيت . . فلا شىء . . لا أحد يجرؤ
ان يسالنى أين كنت . . أنا سيد نفسى . . الكثيرون يا أخـــى
يمتدحون الحياة الزوجية ، ولكنى اعتقد انهـــا اسوأ من الاشتغال
الشاقة . . هذه الاحاديث عن الموضة والكورسيهات والقيل والقال ،
والزعيق . . وبين لحظـــة واخرى الضيوف . . والأولاد يقفزون
خارجين الى الدنيا الواحد تلو الآخر . . والنفقات . . . اخص !

فدمدم كوفالدين وهو يتناول الريشة :

– سافرغ حالا . . .

– اكتب ، اكتب . . . حسنـــا لو وفقت الى زوجـــة ليست
شيطانا ، ولكن ماذا لو انها ابليس فى تنورة ؟ ماذا لـــو كانت من
اولئك اللواتى لا يتوقفن عن الازيز والطنين ليل نهار ؟ . . اذن
ستصرخ مستنجدا ! انظر ، انت على سبيل المثال . . عندما كنت
عازبا كنت انسانا مثل البشر ، ومـــا ان تزوجت من زوجتك حتى
تدهورت ، واصبحت منطويا . . . لقد فضحتك فى المدينة كلها . .

وطردتك من البيت . . . فأى خير فى هذا ؟ ان زوجة مثلهـــا لا تستحق حتى الشفقة . . .

فقال كوفالدين متنهدا :

ـ كنت انا المذنب فى انفصالنا لا هى .

ـ دعك من ذلك أرجوك ! اننى اعرفها جيدا ! امرأة شريرة ، متغطرسة ، خبيثة ! كل كلمة سم زعاف ، كل نظرة خنجر حاد . . . اما اللؤم الذى كان فى المرحومة فشىء لا يمكن وصفه !

فاتسعت عينا كوفالدين وهو يسأل :

ـ ماذا تعنى بالمرحومة ؟

فاستدرك بسكاريوف محمرا :

ـ وهل قلت المرحومة ؟ ابدا ، أنا لم أقل ذلك . . ماذا دهاك يا أخى . . اتق الله . . ما لك شحبت ! هىء ، هىء ، اسمـــع بأذنك ولا تسمع ببطنك !

ـ هل كنت عند أنيوتا اليوم ؟

ـ نعم ، زرتها فى الصباح . . كانت راقـــدة . . تصرخ فى الخدم . . تارة لم يقدموا لها هذا الشىء كما يجب ، وتارة ذاك . . امرأة لا تطاق ! لا أفهم ما الذى جعلك تحبها . . لو أن الله يهديها فتطلق سراحك ايهـــا المسكين . . اذن لعشت حرا وتمتعت . . ولتزوجت غيرها . . طيب ، طيب سأسكت ! لا تعبس ! انـــا لا اقصـــد . . مجرد كلام عواجيز . . أنت تعرف رأيى . . اذا شئت أحب ، واذا لم تشأ لا تحب . . أنا لا ارجو لك الا الخير . انها لا تعيش معك ، ولا تريد أن تعرفك . . أية زوجة هذه ؟ قبيحة ، هزيلة ، سيئة الطباع . . لا تستحق الشفقة . . . فليكن . . .

فقال كوفالدين متنهدا :

ـ من السهل عليك أن تتحدث يا أريستارخ يفانيتش ! الحب ليس شعرة لا يمكن انتزاعه ببساطة .

ـ وهل فيها ما يُحَب ! انك لم تر منها غير اللؤم . لا تؤاخذ عجوزا مثلى ، فانا لم احبها . . لم اكن أطيق رؤيتها ! عندمـــا أمر بجوار بيتها اغمض عينى حتى لا أراها . . نهايته ! رحمهـــا الله واسكنها فسيح جناته . . لم اكن احبها فليغفر لى الله ذنبى !

فقال كوفالدين ممتقعا :

– اسمع يا اريستارخ ايفانيتش هذه ثانى مرة يزل فيها لسانك . قل لى . . هل ماتت ؟

– كيف ماتت ؟ لم يمت أحد . . كل ما فى الامر اننى لم اكن أحب المرحومة . . . اخص ! اعنى ليس المرحومة . . بل زوجتك ، آنا . . .

– ماذا حدث لها ، هل ماتت ؟ لا تعذبنى يا اريستارخ ايفانيتش ! انك تبدو منفعلا بصورة غريبة ، تتخبط فى الكلام . . وتمتدح حياة العزوبية . . هل ماتت ؟ نعم ؟

فتمتم بسكاريوف وهو يسعل :

– هكذا ، مرة واحدة ماتت ! يا لك من متسرع يا أخى . . . ولنفرض انها ماتت ! كلنا سنموت ، وهى أيضا مصيرها الى الموت . . وانت ستموت ، وانا . . .

احمرت عينا كوفالدين وامتلأتا بالدموع ، وسأل بصوت خافت :

– فى اية ساعة ؟

– ليس فى اية ساعة . . . ما أسرع دموعك ! . . لم تمت ! من الذى قال لك انها ماتت ؟

– اريستارخ ايفانيتش . . أرجوك . . لا تشفق علىّ !

– لا يا اخى ، انت لا يمكن الكلام معك ، كأنك طفل . هل قلت لك انها ماتت ؟ هل قلت لك ؟ تسترسل فى البكاء ؟ اذهب وافرح بها . . سالمة غانمة ! عندما زرتها كانت تتشاجر مع عمتها . . . كان الأب ماتفى يقيم قداس الجناز بينما صياحها يملأ البيت كله .

– اى قداس ؟ ولماذا يقام ؟

– القداس ؟ أبدا ، هكذا . . يعنى بدلا من الصلاة . اقصد . . لم يكن هناك اى قداس ، بل شىء ما هكذا . . لم يكن هناك شىء .

ارتبك اريستارخ ايفانيتش ، فنهض ، واستدار الى النافذة وراح يسعل .

– عندى سعال يا اخى . . لا ادرى اين اصبت بالبرد . .

ونهض كوفالدين ايضا واخذ يروح ويجىء بعصبية بجوار الطاولة. وقال وهو يعبث بلحيته بيدين مرتعشتين :

– انك تلف وتدور . . الآن فهمت . . فهمت كل شيء . ولا أدرى لم كل هذه الدبلوماسية ! لماذا لا تقول مباشرة ؟ ماتت ، اليس كذلك ؟

فهز بسكاريوف كتفيه :

– هم . . . كيف أقول لك ؟ ليس تماما ماتت وانما هكذا . . اوه ، ها انت تبكى ! ألسنا كلنا سنموت ! ليس الموت مكتوبا عليها وحدها ، كلنا سنرحل الى الدار الآخرة ! وبدلا من البكاء أمام الناس . . هلا ذكرت روحها بالرحمة ! هلا رسمت الصليب !

ظل كوفالدين يحدق فى بسكاريوف ببلاهة حوالى نصف دقيقة ، ثم امتقع بشدة ، وسقط فى مقعده وانفجر فى بكاء هستيرى . .. وقفز زملاؤه الموظفون من خلف مكاتبهم وأسرعوا لنجدته وحك بسكاريوف قفاه وعبس .

ودمدم مادا يديه :

– التعامل مع هؤلاء السادة مصيبة . . أى والله ! . . يعول . . فلماذا يعول ؟ ميشا ، ماذا دهاك ؟ ميشا ! – وأخذ يهز كوفالدين . – انها لم تمت بعد ! من قال لك انها ماتت ؟ بالعكس ، يقول الاطباء انه ما زال هناك أمل . . ميشا ! يا ميشا ! أقول لك انها لم تمت ! أتريد ان نذهب اليها سويا ؟ هيا وعندئذ سنلحق قداس الجناز . . . ماذا أقول ؟ لا اقصد القداس بل الغداء . ميشا ، اؤكد لك انها ما زالت حية ! فليعاقبنى الله ان كنت كاذبا ! فليحرمنى نعمة البصر ! ألا تصدقنى ؟ اذن فهيا نذهب اليها . . وعندئذ اعتبرنى ما شئت اذا لم . . . من أين جاء بهذا ، لا أفهم ! انا اليوم كنت بنفسى عند المرحومة ، اقصد ليس المرحومة انما . . اخص !

واشاح العقيد بيده وبصق وخرج من الادارة . وعندما وصل الى شقة المرحومة تهالك على الكنبة وشد شعره .

وصاح فى أسى :

– اذهبوا اليه انتم ! مهدوا انتم للنبأ واعفونى من ذلك ! انا لا أريد ! لم أقل له سوى كلمتين . . مجرد تلميح . . فانظروا ماذا جرى له ! انه يموت ! فقد وعيه ! لن اقبل ابدا فى المرة القادمة . . اذهبوا أنتم ! . .

القصة الثالثة

المتمارضون

المتمارضون

فى احد أيام الثلاثاء من شهر مايو كانت زوجة الجنرال مارفا بتروفنا بتشونكينا ، التى تمارس العلاج الهوميوباتى منذ عشر سنوات ، تستقبل المرضى فى غرفة مكتبها . وعلى الطاولة أمامها كان صندوق صيدلية الادوية الهوميوباتية وكتاب وصفات العلاج وفواتير الصيدلية . وعلى الجدران علقت تحت الزجاج فى اطر مذهبة رسائل طبيب هوميوباتى ما من بطرسبرج كان مشهورا جدا فى رأى مارفا بتروفنا ، بل وعظيما ، وصورة الأب أريستارخ الذى تدين له زوجة الجنرال بخلاصها ، أى بالكف عن العلاج المألوف وادراك الحقيقة . وفى الردهة ينتظر المرضى جالسين ، ومعظمهم من الفلاحين . وجميعهم ما عدا اثنين أو ثلاثة ، حفاة ، لأن زوجة الجنرال تأمرهم بأن يتركوا احذيتهم النتنة فى الفناء .

كانت مارفا بتروفنا قد استقبلت عشرة اشخاص ، وها هى تستدعى الحادى عشر :

– جافريلا جروزد !

ويفتح الباب ، وبدلا من جافريلا جروزد ، يدخل الغرفة زاموخريشين ، جار زوجة الجنرال ، من الاقطاعيين المفلسين ، عجوز ضئيل الجسم ، ذو عينين كابيتين ، وتحت ابطه قبعة النبلاء . ويضع العصى فى الركن ويقترب من زوجة الجنرال ، وفى صمت يركع على احدى ركبتيه أمامها .

فتفزع زوجة الجنرال وتتضرج حمرة :

– ما هذا ! ما هذا يا كوزما كوزميتش ! أرجوك لا داعى !

فيقول زاموخريشين مقبلا يدها :

– لن أنهض ما دمت حيا ! فليراني الناس كلهم راكعا أمامك ، يا ملاكنا الحارس ، يا راعية جنس بنى البشر ! ليرونى ! الساحرة الخيِّرة التى وهبتنى الحياة ، وارشدتنى الى السبيل القويم ، وانارت ظلمات يأسى ، هذه الساحرة مستعد أن اقف أمامها لا على ركبتى بل وفى النار أيضا ، يا شافية جراحنا الرائعة ، يا أم اليتامى والأرامل ! لقد شفيت ! بعثت حيا أيتها الساحرة !

فتدمدم زوجة الجنرال وهى تتضرج من السرور :

– انا . . . انا سعيدة جدا . . . ما اطيب أن أسمع هذا . . . اجلس من فضلك ! ولكنك فى الثلاثاء الماضى كنت مريضا جدا !

فيقول زاموخريشين :

– أوه كم كنت مريضا ! مجرد التذكر شىء مرعب ! كان الروماتيزم ممسكا بكل أطرافى وأعضائى . ثمانى سنوات أتعذب ، لم أذق للراحة طعما . . . لا ليلا ولا نهارا يا ربة نعمتى ! ترددت على الأطباء ، وسافرت الى البروفيسورات فى كازان ، وتعالجت بمختلف أنواع الطين ، وشربت المياه المعدنية ، لم أترك شيئا الا جربته ! وضيعت ثروتى على العلاج يا سيدتى الجميلة . هؤلاء الاطباء لم يعودوا علىَّ بشىء الا بالضرر . حبسوا الداء فى جسمى . . صحيح أنهم حبسوه . . ولكن علومهم ليست قادرة على اخراجه . . هؤلاء اللصوص لا يحبون الا الاستيلاء على النقود ، أما آلام الانسان فلا تحرك شيئا فى نفوسهم . يصف لك الدجال منهم شيئا ما ، وعليك أن تشربه . باختصار هم قتلة ! ولو لاك يا ملاكنا ، لكنت الآن فى القبر ! عدت من عندك يوم الثلاثاء الماضى ، ونظرت الى الحبات التى اعطيتنيها يومها وقلت لنفسى : «اى فائدة منها ؟ أمن المعقول أن هذه الحبيبات التى لا تكاد ترى يمكن أن تشفينى من مرضى الهائل القديم ؟» . ورحت ابتسم وانا افكر ، يالى من ضعيف الايمان ، وما أن تناولت حبة حتى ظهر الأثر فورا ! كأنما لم أكن مريضا ، كأنما يد مسحت الداء عنى . وحدقت زوجتى فىَّ بعينين جاحظتين وهى لا تصدق : «اهذا انت يا كوليا حقا ؟» فقلت لها : «نعم أنا» . وركعنا معا أمام الايقونة ورحنا نصلى لملاكنا : «فلتعطها يا رب كل ما نتمناه لها فى نفوسنا !» .

ويمسح زاموخريشين عينيه براحته ، وينهض من على المقعد ،

ويبدو انه ينوى الركوع مرة اخرى على احدى ركبتيه ، ولكن زوجة الجنرال تستوقفه وتجلسه .

– لا توجه الشكر الي . . . – قالت وهـــى تتضرج بحمرة الانفعال وتنظر باعجاب الى صورة الأب اريستارخ . – ما أنا الا اداة طيعة . . . يا لها من معجزات ! روماتيزم قديـــم ، من ثمانى سنوات ويزول من حبة واحدة !

– لقد تكرمت واعطيتنى ثلاث حبات . أخذت حبة فى الغداء ، وفورا زال ! والثانية اخذتها فى المساء ، والثالثة فى اليوم التالى . . ومن ساعتها لم أشعر بشيء ! ولا حتى بوخزة ! مع أنى كنت استعد لملاقاة الموت ، حتى أنى كتبت لابنى فى موسكو أن يأتى ! الهمك الله يا شافية الجراح ! ها أنذا أسير وكأنى فى الجنة . . . فى ذلك الثلاثاء عندما كنت عندك كنت أعرج ، أما الآن فعلى استعداد ولو لمطاردة ارنب . . . مائة سنة أخرى استطيع ان اعيش ! شيء واحد يؤرقنى : قلة الموارد . ها أنذا صحيح الجسم ، فما جدوى الصحة اذا كنت لا تجد ما تعيش به ؟ العوز أرهقنى اكثر من المرض . . . إليك مثلا على ذلك هذا الأمر . . . الآن أوان بذر الجودار ، فكيف تبذره وليس لديك بذور ؟ ينبغى ان أشترى ، ولكن النقود . . اى نقود لدينا . . .

– ساعطيـــــك جوداراً يا كوزما كوزميتش . . . اجلس ، اجلس . كم اذهلتنى ، وأية سعادة منحتنى ، انـــا التى يجب ان اشكرك لا أنت !

– أنت سعادتنا ! كيف خلق الرب كل هذه الطيبة ! فلتفرحى يا سيدتى وانت تنظرين الى اعمالك الطيبة ! أمـــا نحن المساكين فليس لدينا ما يفرحنا . . نحن قوم صغار ، فقراء الروح ، لا نفع منا . . . تافهون . . نحن نبلاء اسما فقط ، أما ماديا فنحن كهؤلاء الفلاحين ، بل اسوأ . . نعيش فى بيوت حجريـــــة ولكن ذلك فى الحقيقة سراب . . لأن السقف مثقوب تتسرب منه المياه . . وليس لدينا ما نشترى به الخشب .

– ساعطيك خشبا يا كوزما كوزميتش .

ويحصل زاموخريشين كذلك على بقرة ، وخطاب توصية لابنته التى يعتزم الحاقها بمعهد و. . . ويغلبه التأثر من كرم زوجـــة

الجنرال فيشهق باكيا ويتقلص فمه ، ويدس يده فى جيبه ليخرج المنديل . . . وترى زوجة الجنرال ورقة حمراء تخرج من جيبه مع المنديل وتسقط على الأرض دون صوت .

ويتمتم زاموخريشين :

– لن أنسى أبـــد الدهر . . . وسأوصى أولادى وأحفادى ان يذكروا . . وكل الأجيال . . ها هى يا أولادى تلك التى انقذتنى من القبر ، تلك التى . . .

وبعد أن تودع زوجة الجنرال مريضها تقف دقيقة تحدق فى الأب اريستارخ بعينين مغرورقتين بالدموع ، ثم تطوف بنظرة رقيقـــة ممتنة على الصيدلية ، وكتب العلاج ، والفواتير ، والكرسى الذى كان يجلس فيه منذ قليل الرجل الذى انقذته من الموت ، ويقع بصرها على الورقة التى سقطت من جيب المريض . وترفع زوجة الجنرال الورقة وتفضها ، فترى فيها ثلاث حبات ، تلك الحبات نفسها التى اعطتها لزاموخريشين فى الثلاثاء الماضى .

وتقول مستغربة :

– انها هى نفسها . . . حتى الورقة هى بعينها . . . انه حتى لم يفضها ! ما الذى تناوله اذن ؟ غريبة . . لا يمكن أن يكون قد خدعنى !

ولأول مرة خلال عشر سنوات من الممارسة يتسرب الشك الى نفس زوجة الجنرال . . . وتستدعى بقية المرضى ، وتلاحظ وهى تتحدث معهم عن أمراضهم ما كان يغيب عن سمعها من قبل . فجميع المرضى بلا استثناء ، وكأنما اتفقوا على ذلك ، يمجدونها فى البداية على شفائهم المدهش ، ويبدون اعجابهم بحصافتها الطبية ، ويسبون الأطباء العاديين ، وبعد ذلك ، وعندمـــا يتضرج وجهها من شدة الانفعال ، يبدأون فى شرح مطالبهم . فأحدهم يسألها قطعة أرض ليزرعها ، والآخر قليلا من الحطب ، والثالث يرجوها ان تسمح له بالصيد فى غاباتها . . . الخ . وتتطلع زوجة الجنرال الى وجه الأب اريستارخ العريض السمح الذى هداها الى الحقيقة ، وتأخذ حقيقـــة أخرى فى تعذيب روحها . .حقيقة كريهة ، ثقيلة . . .

ما أخبث الانسان !

منتدى حديث المطابع
موقع الساخر
www.alsakher.com